

18/04/2012 09:44:27 AM

هل يهكن العثور على سياسي أردني واحد لديه الجرأة أو الهزاج أو قدرة التحكم بلسانه بحيث يكتفي بالحديث «بعيداً عن السياسة» وفي هذا الوقت بالذات؟ نقصد في فصل «الربيع العربي» الذي أصبح فيه كل شيء سياسة، وسياسة تعور في فائض الشك ونكحات الريبة ومحفزات رفع الصوت.

في السنوات الماضية وحتى فترة غير بعيدة، كان الحديث «بعيداً عن السياسة» مغرياً ومهتجاً للسياسيين المحترفين. فما يعرفونه ويجهله الشارع، هو أكثر بكثير مما يودون الخوض فيه. لكن تغير الوضع واختلطت بعض الاشارات الحمراء بالصفراء بالخضراء.. حديث السياسي «بعيداً فعلاً عن السياسة» بات وكأنه تهمة بالغياب عن الصورة أو انعدام الموقف أو شبهة بجفاف الذاكرة.

ذوات سبق وتحذروا «بعيداً عن السياسة» وكانوا مهتجين في سردهم الهادئ، اختلفت نبرة الكثيرين منهم هذه المرة. حديثهم أضحى أكثر إثارة بالمواقف وأثرى بالتفاصيل التي وإن كان عمرها أكثر من خمسين سنة إلا أنها تأتي موصولة بالذي نراه الآن ويفاجئنا. الحكيم «هذه المرة» له ميزة أخرى. فهو يكشف أن العديد من رجالات الدولة الذين لم نكن نرى منهم سوى صفحة التجهم واليباس، هم بعد التقاعد أصحاب بديهة رانقة وتسعفهم النكتة عندها تخرجهم الأسئلة.

ملك التل

الذين حاولوا توصيف الحياة السياسية الأردنية، تفاوتت تقديراتهم بشدة على أمور كثيرة، لكنها اتفقت على نقطتين: النولى أن هذه الحياة السياسية محرقة لرجالاتها، وبالذات في السنوات العشرين الماضية. فلم يغادر رئيس وزراء إلا وكان التصور أنه لن يعود بعدها لكثرة ما كانت تلحقه في أيامه الأخيرة من حملات تغيير. والصفة الثانية للحياة السياسية الأردنية أنها بدون ذاكرة ودونة! لا تفسير واضحاً لهذه الظاهرة سوى احتمال أن يكون رؤساء الحكومات السابقون لا يريدون تدوين مذكراتهم لكثرة ما التبس فيها من أمور يصعب تدوينها بهوضعية.

طاهر المصري، رئيس مجلس النعيان والرئيس الأسبق للوزراء، لا نريد أن نقول أنه الوحيد الذي «نجا» من هاتين الصفتين. فالرجل لشدة تواضعه وعزوفه الفطري الصادق عن سهاه التقريظ الفاقع، لن يرضيه أن يقال عنه أنه من رجال الدولة ذوي السوية الفريدة الذين لم تحرقهم السلطة ولم يندرجوا في الاصطفاقات الخلافية ولم تتلوث أيديهم بالمهوبات السياسية أو الهالية. ولأنه كذلك فإن التحرش بذاكرته السياسية للسنوات العشرين الماضية مسألة صحفية مهتجة. في المهلكة المغربية يطلقون على رجالات الدولة المرصودين للمهمات الكبيرة، تعبير رجال «الخان»، باعتبارهم يُفترض أن يكونوا ثقاتاً عدولاً أقوياء وذوي أفق مبدع لتولي القضايا الهفصلية أو الصعبة. أبو نشأت (ونشأت أيضاً اسم والده) له في «الخان الأردني الهاشمي» موروث عائلي سابق لوحد الضفتين عام 1951. وقد عززه الرجل بالمهارة الشخصية الشاقة. في عام 1991 أثر أن تستقيل حكومته على أن يحل مجلس النواب، فسجلت له ضمن سفر الحياة الديمقراطية. كان له حضوره في لجنة الميثاق الوطني، ومن فوقها بنى جهوداً أثرية في رئاسة اللجنة الوطنية الأخيرة للحوار السياسي. وحين يُسال الرجل عن تجربته مع الإخوان المسلمين في حكومة الـ 91 وفي لجنة الحوار فإنه يستذكر تفاصيل تستحق التسجيل في قاموس الحياة المدنية والحراك الديمقراطي، حيث الاختلاف السياسي لا يؤثر على الإحترام الشخصي المتبادل.

حتى لا نثقل على تواضع الرجل بأوصاف وألقاب إيجابية يعرفها الجميع، فإننا نقتطف بعضاً مما أوردته موسوعة ويكيبيديا عن الرجل. فهي تنقل كلمة المغفور له بإذن الله الملك الحسين عندها قال له: «ما تعاملت مع إنسان أشرف منك يا طاهر». وفي سياق آخر يوصف أبو نشأت بأنه «ضمير الحياة السياسية الأردنية» كونه يؤمن بهدنية الدولة إيماناً أهله لأن يتولى على المستوى القومي ومسؤولية قطاع المهتجع الهدي في الجامعة العربية أيام تعاظم الإحساس بضرورة الإسراع في الإصلاح. فقد نشأ الرجل على الإيمان القومي حد التصوف. وهو يعتبر وحدة الضفتين تحدياً قوياً وطنياً لاتفاقية سايكس بيكو. وفي تجسيده لمفهوم وسلوكيات الوحدة الوطنية كان النبعد عن جدل المحاصصة والحقوق المنقوصة. وحين يتحدث في هذه الحلقات عن قرار فك الارتباط فإن لديه ما يقوله من تفاصيل قد لا يعرفها الكثيرون.

أبو نشأت الذي أنهى دراسته في جامعة تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية، بدأ حياته الوظيفية في البنك المركزي أيام تأسيسه (براتب 45 ديناراً شهرياً). مروحة المهام التي تولاهها بعد ذلك توسعت من النيابة إلى الوزارة إلى رئاسة الحكومة إلى رئاسة مجلس النواب ورئاسة مجلس النعيان. هذا عدا التمثيل الدبلوماسي للاردن والمهام القومية المدنية. وفيها كلها ظل مهتسكاً بمنظومة الهادئ الشخصية التي يقول في مدونته الشخصية على الانترنت أنها ألقت بظلالها على مسيرته السياسية والاجتماعية. ولعلها هي ذاتها الانطباع الشائع عنه بأنه «رجل لا يضيع بوصلته».

المصادفة أدخلتني النيابة عن مقعد نابلس الشاعر وبعد 3 أسابيع اختارني زيد الرفاعي ضمن تشكيلة حكومته لم تأت الحياة السياسية لرئيس مجلس النعيان طاهر المصري نتيجة تخطيط من طرفه شخصياً في مطالع شبابه ولا من أهله. أولى وظائفه بعد إنهاء الدراسة الجامعية في الولايات المتحدة «1965» كانت في البنك المركزي حديث التأسيس.

كان راتب أبو نشأت يومها 45 ديناراً لم تعد تكفيه بعد أن أقيمت على كاهله مسؤوليات الزواج. بدايات انخراطه السياسي جاءت بالصادفة عندها انتخب وعمره 31 سنة لهاء المقعد النيابي عن نابلس لها شغور . وبعد ثلاثة أسابيع من انتخابه تم اختياره وزيراً في حكومة زيد الرفاعي «1973» لشؤون الأرض المحتلة وكان ذلك القرار هو النصب بالنسبة له. فالهسؤولية العاهة غير المخطط لها تكون تحدياً ثقيلاً ونهط حياة مختلفة تولاهها أبو نشأت متنقلاً بين عديد مجالات العمل السياسي والدبلوماسي الوطني والقومي. في مرحلة متحركة شديدة السخونة ما فتى المحللون يصفونها كل يوم بانها «ظروف استثنائية»

بداياتك مع العمل السياسي؟

بدأت ممارسة العمل السياسي الفعلي منذ عام 1973 عندها انتخبت نائبا عن لواء نابلس . كان مجلس النواب حينها يتألف من ثلاثين عضواً عن الضفة الغربية وثلاثين عن الشرقية. اثر وفاة بعض نواب الضفة الغربية عدل الدستور وقانون الانتخاب حيث أصبح بالامكان انتخاب أشخاص من مناطق المقاعد الشاغرة لهاء المقعد الشاغر عن محافظة نابلس.

ضمن خطة مسيكة؟

لا.. لم يكن هذا وارداً في ذهني كي اخطط له. لكن القدر لعب دوراً ايجابياً لجد بالصدفة بأن هناك مقعداً شاغراً في مجلس النواب عن لواء نابلس، فلهعت بذهني الفكرة. كان عمري حينها 31 عاماً. اتصلت بمسؤولين كبار كانوا على علاقة مع عائلتي. منهم أحمد اللوزي وكان رئيساً للحكومة، وكامل عريقات رئيساً لمجلس النواب، وزيد الرفاعي مستشاراً للملك الحسين، وعدنان أبو عودة وزيراً للإعلام ومضربان مستشاراً لشؤون الأمن القومي وأخبرتهم برغبتي بترشيح نفسي فشجعوني وانتخبت في الثاني من أيار 1973 نائباً عن لواء نابلس.

وانطلقت؟

نعم. بدأت مرحلة جديدة من حياتي وأخذت أشعر من تلك اللحظات أنها مرحلة تختلف تماماً عن الحياة «البنكية» علماً ان الصورة لم تكن واضحة أهامي عما ستكون مهمتي واهكائيات نجاحي كئانب. لكنني أصررت على العمل بجهد كبدية لمرحلة جديدة في حياتي. وبعد ثلاثة أسابيع من انتخابي تم اختياري وزيراً وكان هذا القرار هو النصب بالنسبة لي.

فوجئت؟

بعد النيابة بـ 24 يوماً استقالت حكومة أحمد اللوزي وتم تكليف زيد الرفاعي في 26/5/1973. استغربت جداً من اختيار دولة «أبي سمير» لي لأكون وزيراً في حكومته. فوجئت جداً ولم يخطر هذا على بالي اطلاقاً. واذكر انني أخبرته بأنني بالأمس استقلت من البنك المركزي، وأني غير مهيناً لا من الناحية النفسية ولا من حيث الخبرة . فعمري 31 عاماً ولم يسبق أن مارست أموراً تتعلق بالدولة على الاطلاق. وواضح انه كان على معرفة بذلك، وعندها سألته عن الحقيية الوزارية شعرت انني استطيع ان اتعامل مع وزارة شؤون الأرض المحتلة . بدأت مسيرتي السياسية وكان هدفي النول التفكير بكيفية تطوير نفسي لتقوم بهام المرحلة الجديدة في حياتي. لقد أصبحت في منصب تنفيذي عال جداً، وفي عمر مبكر. وبالمناسبة فان أبا سمير نفسه شكل حكومته ولم يكن سبق له أن استلم أي حقيية وزارة من قبل. وكان عمره 36 عاماً وأصبح رئيساً للحكومة مع وجوده شاباً صغيرة نسبياً أثارت انتقادات بأنها حكومة شباب ليس لديهم خبرة، فكان أهامي تحد لا بد من مواجهته. تعبت على نفسي كثيراً، وتعلمت وأثبت وجودي في الوزارة.

ماذا فعلت؟

كان الأردن مسؤولاً عن كل موظفيه في الضفة الغربية، وهذا يعني ان وزارة الدولة لشؤون الأرض المحتلة كانت مسؤولة عن كل الشؤون الإدارية في الضفة الغربية من موظفين وعن القدس والبلديات وحالات التقاعد وغير ذلك. كانت لدينا الصلاحية بموجب نظام الدفاع أن نقرر في المكتب التنفيذي أو في وزارة الأرض المحتلة ما نريده، وكانت الوزارات تطبق تلك التعليمات، فأبقينا العلاقات مستمرة بها في ذلك التجارة بين الضفتين. ورغم العقبات حاولنا تسهيل عبور المواطنين والدفاع عن مصالحهم. كنا مرجعية لنواب الضفة الغربية في أمور كثيرة، فكانت تقريباً شبه حكومة مصغرة للضفة الغربية موجودة في عمان.

وبعد؟

بعد سنة وسبعة أشهر، عقد مؤتمر قمة الرباط، وتم الإقرار بمنظمة التحرير الفلسطينية مهتلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني. كنت حاضراً قمة الرباط وقد الهني جداً محاولة الفصل بين الضفتين، لكن القرار أصبح التزاماً بقرار لقمة 1974 وللإصرار العرب - من الرئيس أنور السادات إلى الملك الحسن- على جعل منظمة التحرير هي الهسؤولية والههتل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. والتماراً بذلك القرار كان لا بد ان تستقيل الحكومة ويخرج الوزراء الذين يهتلون الضفة الغربية، وكنت واحداً منهم، لاني أهتل الضفة الغربية بالفعل ومن هواليد نابلس ونائباً عنها.

وفي التعديل الوزاري لحكومة الرفاعي عرض علي منصب سفير لوزارة الخارجية، وكانت النية أن أعين في الكويت، فاعتذرت للاهتمام بشؤوني الهستقبلية بممارسة الأعمال الحرة كما هي عائلتي، وقررت العودة إلى الرياض مرة أخرى للعمل مع عمي صبيح

المصري. وقبل أن أتخذ قراري أذكر بأن سالم مساعدة وكان وزيراً للعدل في تلك الحكومة، اقنعني بقبول منصب السفير. وبعد موافقتي كان منصب السفير في الكويت قد تم إشغاله فشغلت منصب سفير الأردن في مدريد في شهر نيسان من عام 1975.

بداية دبلوماسية؟

نعم.. بدأ مشواري الدبلوماسي من مدريد. وأزعم بأنني تنوعت في تجاربي، واحداها المهمة الدبلوماسية، حيث عملت سفيراً في إسبانيا وفرنسا لدى اليونسكو، وفي بريطانيا.

تحدثت الإسبانية والفرنسية إضافة إلى الإنجليزية؟

تعلمت اللغة الإسبانية بسهولة وان كنت قد نسيتها الآن، والفرنسية بشكل ضعيف جداً لكنني بالإنجليزية ممتاز. بقيت أربع سنوات في إسبانيا، وخمسا في فرنسا وأربعة أشهر في بريطانيا، تعلمت خلالها في جميعها أشياء كثيرة ومتنوعة، أهمها الاختلاط بحضارات وثقافات لم تكن متاحة لي. كما تعلمت دقة الكلام والتوازن حسب المفهوم الدبلوماسي، فالأحداث السياسية التي مرت في إسبانيا بالذات في بداية حياتي الدبلوماسية علمتني أكثر مما كنت أتوقع. كنت أرى كيف كانت القبضة الحديدية المحافظة والذميمة موجودة في إسبانيا، ثم جاء خوان كارلوس بعد وفاة فرانكو وتهدت عملية الانتقال من حكم فرانكو الدكتاتوري إلى الحكم الديمقراطي بكل سلاسة وذكاء. كانت تجربة مهمة وغنية وقد كتبت تفاصيل هذه الحقبة. فرنسا بالنسبة لي كانت موطن الفن والثقافة والذوق و«الأكل الطيب» فهي مركز سياسي مهم، وأيضاً استطعت الدخول إلى مواقع سياسية مهمة وهوثة في الأثناء وتعلمت الكثير، وأصبح جلالته الهلك يعرفني أكثر وأكثر من خلال عملي ونشاطي ونجاحي في باريس، وبالتالي عندها أصبح موقع لندن شغراً كسفير اختارني لجلالته للإشغاله. لم أبق في بريطاني أكثر من أربعة أشهر. لا بد من القول ان حقائب الدبلوماسية علمتني كثيراً.. ثقفت نفسي وأنشأت علاقات واسعة وصلات قوية وأصبح لدي موقف وتجربة وأفكار راسخة أتعامل معها.

الدبلوماسية خدعة؟

لا.. الدبلوماسية فن المهكن كالسياسة. وكوننا نتعامل مع دول فان الأمر ليس منوطاً بطرف واحد بل بأطراف أخرى متعددة. فنحن عندها ننظر إلى الأردن وحوله دول كثيرة فانه يجب أن نتعامل معها وأن نسير أمورنا بوسائل متعددة بناءً على سياسة واستراتيجية واضحة. المرونة والدبلوماسية ليستا خدعة وانها حسن إدارة.

استراحة

كثيراً ما تتراسون جاهات لطلب عروس.. لا بد أن ذلك أثر لقاموسكم الاجتماعي بالنسب وبالاقوال الهائلة التي تصاحبها أحيانا مفاجآت ورؤى عميقة في المزاج الاجتماعي. لكن الا تشعرون ان مثل هذا العرف الاجتماعي ثقيل على رجال الدولة؟! وهو موضوع ان يكون اهم الطالب في الجاهة من يهائله في المركز السياسي أو الاجتماعي ألا يعتبر هو الآخر شكلية اجتماعية فائضة عن الحاجة؟

بالنسبة لي شخصياً ليست المشكلة بهن يجب أن يهائلي في الجاهات التي ادعى لها.. ليس لدي هذا الاعتبار. ولا شك ان لهتل هذه المناسبات الاجتماعية فوائد ولها سلبيات. وقد أصبحت مظهراً اجتماعياً خادعاً، فكلها كبرت الجاهة كلها اعتقد أصحابها بأن قدرهم كبير. أرى انها مضيعة لوقت الناس وجهدهم. قد يقول البعض بها أنني أتحدث هكذا عن الجاهات فلماذا أتأسسها؟! وأقول: لأننا ضمن مجتمع له أعرافه واعتباراته. لأنني سياسي في منصب معين وفي وضع اجتماعي معين أضطر في بعض الأحيان وأرغب أحياناً أخرى وكثيراً ما أعتذر أن أكون على رأس هذه الجاهات. وللحقيقة فان هناك جاهات خرجت عن نطاقها المعهود.. نحن لا ننكر انها جزء من تطور العادات الاجتماعية التي لم تكن موجودة أصلاً لكنها أصبحت الآن مظهراً اجتماعياً غير مريح وأمرأ شكلياً إلى درجة كبيرة جداً

http://senate.jo/ar/content/%D8%B7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B1%D9%8A-%D8%B6%D9%85%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B1%D8%AF%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AC%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D9%84%D8%A7-%D9%8A%D8%B6%D9%8A%D8%B9-%D8%A8%D9%88%D8%B5%D9%84%D8%AA%D9%87-8-12#comment-0